مجلة حقول معرفية للعلوم الاجتماعية والإنسانية

المجلد 02 – العدد 03 - (2021)
الصفحات: من 01 إلى 13

الذبيح من ولد النبي إبراهيم(عليه السلام) وفق المنظور الميثولوجي للدواداري(المتوفي:737هـ/ 1336م)

The sacrifice isfrom the sons of the Prophet Ibrahim according to the mythological perspective of the Duwadari (died: 737 AH /1336

أ. د. أسامة كاظم عمران الطائي[1]	زينب محمد عبيس كزار[2]*
جامعة بابل - كلية التربية للعلوم الإنسانية- قسم التاريخ- العراق	جامعة بابل - كلية التربية للعلوم الإنسانية- قسم التاريخ- العراق
aosamakazem1980@gmail.com	z5228637@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/07/30 تاريخ القبول: 2021/08/27 تاريخ النشر: 2021/10/15

ملخص:

يعد أبو بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري (المتوفي:737هـ/1336م) من مؤرخي مصر في عصر المماليك، إلا انه لم ينل شهرة واسعة من بين مؤرخي عصره؛ إذ لم تقدم المصادر التاريخية والرجالية ترجمة كافية ومعلومات وافية عن حياة الدواداري، له مصنفات كثيرة في التاريخ و الادب، ويعد كتابه (كنز الدرر وجامع الغرر) من الكتب الهامة في التاريخ الإسلامي عامة، وتاريخ مصر والعصر المملوكي بصورة خاصة، ضَمّ كتابه تسعة أجزاء، كل جزء منها يختص في دراسة وتناول فترة معينة، وظل هذا الكنز التاريخي مخفياً مدة طويلة حتى تم تحقيق هذه الأجزاء التسعة ونشرها، في ستينيات القرن الماضي على يد مجموعة من المستشرقين الأوربيين، والألمان تحديداً، والباحثين العرب، والدراسات لهذا الكتاب لا تزال قليلة في خطواتها الأولى ولا تزال تحبو قياساً لغيره من المدونات التاريخية، ومنها محاولتنا هذه، ونحن نعتقد أن فيه من الموارد الفكرية والثقافية التي تحتاج إلى معالجة في الاجزاء الأخرى من الكتاب.

الكلمات المفتاحية: كنز الدرر وجامع الغرر؛ ميثولوجيا؛ الذبيح؛ التاريخ.

Abstract:

Abu Bakr bin Abdullah bin Aybak Al-Dawadari, who (died: 737 AH / 1336 AD), isconsidered one of the historians of Egypt in the Mamluk era, but hedid not gain widefameamong the historians of his time. As the historical and men's sources did not providesufficient translation and adequate information about the life of Al-Dawadari, he has manyworks in history and literature, and his book (Kinz Al-Durar&Jami' Al-Gharar) isconsidered one of the important books in Islamichistory in general, and the history of Egypt and the Mamluk era in particular. His book includednine parts, each part of which deals with the study and treatment of a specificperiod, and thishistoricaltreasureremainedhidden for a long time untilthesenine parts wereachieved and published, in the sixties of the last century by a group of Europeanorientalists, and Germans in particular, and researchers The Arabs, and the studies for this book are still few in their first steps and are stillcravingcompared to otherhistorical records, includingourattempt, and webelievethatitcontainsintellectual and cultural resourcesthatneed to beaddressed in the other parts of the book.

Keywords:*kanzaldarar and jamiealgharr; the sacrifice;mythology;History.*

---

* المؤلف المرسل.

مقدمة

يعد الخوض في الدراسات التاريخية الموغلة في القدم من الموضوعات المهمة؛ وذلك لإيماننا بأن التاريخ في تلك المرحلة زَخَرَ بالكثير من الاحداث التاريخية التي تحتاج إلى دراسات، وتُغني المكتبات بالعديد من المؤلفات والأبحاث التي بلا شك سوف تبين حقيقة ماهية التطورات والاحداث المرافقة لتلك المرحلة على جميع المستويات.

تناولت هذه الدراسة ذكر النبيين إسماعيل وإسحاق(عليهما السلام) وعرض الخلاف في مسألة الذبيح من ولد النبي إبراهيم (عليه السلام)، اقتضت طبيعة الموضوع ان نعتمد المنهج التحليلي والوصفي الاستقصائي بالإضافة الى المقارن والنقدي.

قسمنا البحث الى عدة فقرات، تناولت الاولى مقارنة بين قول الدواداري في اسم ونسب كلا من النبيين إسماعيل واسحاق(عليهما السلام) وبين المصادر الأخرى التي تناولت سيرتهم(عليهما السلام)، اما الفقرة الثانية تضمنت عرض لمسألة الذبيح وبينا في هذه الفقرة الاختلاف في هذه المسألة وبعض من الآراء في هذا الموضوع، وألحقت دراستنا بإستنتاجات، وقائمة اردفنا فيها اهم المصادر والمراجع، إذ اعتمدت هذه الدراسة على جملة من المصادر تصدرها كتاب كنز الدرر وجامع الغرر للدواداري (ت: بعد 737 هـ / 1336م) وكتاب أخبار الزمان للمسعودي (ت: 346هـ/958م) ومؤلفات اخرى اعتمدت كأساس لإحداث المطابقات والمقارنات النصية مع روايات الدواداري للوقوف على مدى موائمتها او تقاطعهما مع حقائق التاريخ.

النبيين إسماعيل واسحاق(عليهما السلام)

ذكر الدواداري اسم ونسب النبي إسماعيل، إذ أورد: هو إسماعيل بن إبراهيم(الدواداري، 1414هـ)وذكر ايضاً: "ولد لإسماعيل اثنا عشر رجلا من الجرهميّة"(الدواداري، 1414هـ، ج2، ص218) فهو يتفق مع ما جاء في التوراة بالعدد، وإن أغفل ذكر أسمائهم التي أوردتها التوراة كما يلي:" وهذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم: نبايوت بكر إسماعي، وقيدار، وأدبئيل ومبسام، ومشماع ودومة ومسا، وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة، هؤلاء هم بنو إسماعيل، وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم اثنا عشر رئيسا حسب قبائلهم"(سفر التكوين 25 : 13_ 16)ويبدو أن عدد اثني عشر له رمزية خاصة عند اليهود، كما سوف يتبين في الأسباط، وأما سكنهم فقد وصفه الدواداري من الجرهميّة، في حين جاء في التوراة: "وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور"(سفر التكوين 25 : 18) وهو بحسب تفسير للكتاب المقدس، قال صاحبه: سكنوا في المسافة بين

مصر وأشور، أي في الطريق المعروف إلي أشور(أنطونيوس فكري، 2019م)"ويبدو أن الرواية التاريخية ضاربة في عمق المدونات الإسلامية، ولم يتخلف عن تبنيها لا متقدم ولا متأخر من المؤرخين الإسلاميين فها هو ابن كثير ذكر رواية مفادها، أن إسماعيل قد تزوج بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وجاءته بالبنين الاثني عشر، أن عرب الحجاز يرجعون في أنسابهم إلى ولديه نابت وقيذار، وهو ابن أخت الجراهمة"(ابن كثير، 1408هـ/1988م ،ج1،ص192).

وحين ينتقل للحديث عن إسحاق الابن الآخر لإبراهيم، فأن الدواداري يبرز الجانب الأهم في القصة المشتركة بين إسماعيل وإسحاق وهي قصة الذبح، ويروي عن ابن مسعود وأبي هريرة، "أنّ الذبيح هو إسحاق"(الدواداري، 1414هـ ، ج2، ص218) في انحياز واضح للقصة التوراتية، وهذا مصداق جديد على فكرة رئيسية طالما اكدنا عليها منذ بداية البحث، بأن روايات المدونين الإسلاميين بشكل عام والدواداري بشكل خاص، هي في الغالب صدى للرواية التوراتية بتمظهر جديد، لا اكثر من ذلك، اما النبي إسحاق(عليه السلام) ذكره الدواداري: هو اسحاق بن ابراهيم(عليه السلام)(الدواداري، 1414هـ).

فيما يتعلق في مسألة الذبيح، وتأكيداً لما قلناه عن انحياز الدواداري للرواية التوراتية، فإنه وبدون التصريح عن أرجحية الرأيين في شخصية الذبيح، هل هو إسماعيل أم إسحاق؟ فإنه وبطريقة إيحائية ينقل القاري لتبني الرواية اليهودية، حين يدخل في تفاصيل عمر اسحق حين عرض على الذبح، وهل كان عمره سبع سنين، أم كما ساق رواية أخرى وصفها بالأشهر، حين قال: "وقيل: أمر بذبحه وهو ابن ستّ وعشرين سنة، وهو الأشهر"(الدواداري، 1414هـ، ج2، ص218) وعبارته هذه فيها نحو من التعارض والارتباك، فبينما يُشعر استعماله لتعبير (وقيل) بأنه قول ضعيف، خصوصاً أنه قدم الرأي الأول في السبع في الترتيب، إلا أنه يعود لوصف هذا القول بالأشهر، مما يربك القارئ في أيهما هو متبنى الدواداري، أو الذي يريد ترجيحه؟ وعلى كل حال لو تجاوزنا مسألة العمر، فإنه يبدو أن الدواداري يتبنى الرأي القائل بأن الذبيح هو إسحاق، وهو امر سنعالجه بتفصيل أكثر بعد أسطر قليلة.

وأعطى مساحة أكبر لإسحاق(عليه السلام) فقد ذكر انه حين بلغ ستّين سنة، ولد له العيص ويعقوب، وكانا توأمين(الدواداري، 1414هـ) ولا نستطيع تأكيد مخالفة أو موافقة قول الدواداري لما ورد في الكتاب المقدس، فقد جاء فيه:" وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة... وصلى إسحاق الى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقرا، فاستجاب له الرب، فحبلت رفقة امرأته"(سفر التكوين 25: 20_21) وكذلك جاء في التوراة أن إسحاق تزوج رفقا بنت ناحور بن تارح، وهي ابنة عمه فولدت له عيسو ويعقوب توأمين في بطن واحد(سفر التكوين 25: 20_26) فالعبارة التوراتية فيها مسافة زمنية بين الزواج حين الأربعين واستجابة الدعاء للخلاص من العقم وغير معلومة هي، إلا أن جنزبرج في

كتابه قصص اليهود، يقترب من قول الدواداري كثيراً، حين يقول: "إن إسحاق لم يتزوج إلا في سن متأخرة... وسمح الرب له بالالتقاء بالزوجة المناسبة... تزوج رفقة" (جنزبرج ، 2007م ،ج1، ص 279) التي كانت تبلغ من العمر عند زواجها أربعة عشر عاماً، إذ عاشا عشرين عاماً بعد زواجهما دون أن يرزقا بأطفال، وطلبت رفقة من زوجها أن يبتهل إلى الرب حتى يرزقهما بأطفال، وتم سماع هذه الصلاة، ووهبهم الرب أطفال(جنزبرج، 2007م) فلو جمعنا رواية جنزبرج بالبقاء عشرين سنة من غير أطفال، ورواية العهد القديم بالزواج في عمر الأربعين، فأننا سوف نصل إلى رواية مطابقة تماما لرواية الدواداري عن أول ولادة لذرية إسحاق، العيص ويعقوب، في سن الستين، وتستطرد الرواية في تأصيل الصراع بين التوأمين حين تتحدث عن معاناة رفقة حين الحمل من آلام رهيبة، بحيث تمنت أن لعنة عدم انجاب الأولاد قد انجلت عنها، لأن ولداها التوأمان قد بدأ صراعهما الذي استمر طوال حياتهما، ولازلنا نتحدث بلسان الأسطورة التي تواصل القول: كان كل منهما يحاول قتل الآخر، وان مشت رفقة بالقرب من معبد شيد للأصنام، كان عيسو يتحرك في بطنها، وإن مرت على معبد أو مدرسة لتعليم الشريعة اليهودية، كان يعقوب يحاول شق بطنها والخروج منه، حول من أحق بالبكورة قبل خروجهما من رحم أمهما، ولم يتنازل يعقوب عن هذا الحق لعيسو، إلا بعد أن هدد عيسو بالخروج مبكراً حتى لو كان هذا الأمر سيؤدي إلى التضحية بوالدته، وهذه إشارة إلى عطف ورحمة وإنسانية يعقوب مقابل وحشية وقسوة عيسو (وقد يرد باسم العيص أو عيصو في بعض المدونات الإسلامية) في ترجمة للصراع الإسرائيلي الداخلي(جنزبرج ، 2007م).

قصة حمل رفقة وولادتها لهذا التوأم فيها من كثير من الرمزية، إذ تحمل فيها بيان واضح للموقف الإسرائيلي من القبائل الأخرى ومن العرب أيضاً، وتؤكد الإشارات الكثيرة في هذه القصة أيضاً، أن الرواية التوراتية ليست رواية دينية يهودية خالصة، بل هي رواية قبيلة واحدة إحتكرت الدين لها واستبعدت جميع المنافسين من أبناء العمومة، ووصمتهم بأوصاف جردتهم من الحصانة الإلهية، وإحتكرتها لبني يعقوب خاصة، وبهذا يتجلى خطر القصة التوراتية حين يتبناها مدون ما مثل الدواداري، فانه يعطي واقعية وقدسية لمكانة مزيفة، أرادوا أن يؤسسوا لها من خلال أساطيرهم، وسوف أعرض بعضاً من جوانب هذه الأسطورة التي تحكي هذا التفوق الإسرائيلي على الآخر، حتى يتبين بوضوح أن هذه الأساطير بعيدة كل البعد عن الواقع، وإنما هي واحدة من منتجات الخيال الإسرائيلي التي حاكتها حول أحداث عادية، وأخرجتها بشكل أسطوري، وقد وظفته لتحقيق أغراضها الخاصة، إن كانت سياسية أو اجتماعية.

بالعودة إلى الأسطورة اليهودية والرمزية المختزنة فيها ومدلولاتها، سألت رفقة النساء الأخريات إن كن هن أيضاً قد عانين مثل هذا الألم خلال فترة حملهن، وعندما أخبرنها بأنهن لم يسمعن عن

حالة مثل حالتها، عدا حمل أم النمرود، ذهبت إلى جبل المريا، حيث كان بيت "هاميدراش" سام وعابر، وطلبت منهما ومن إبراهيم أن يسألا الرب عن سبب آلامها الرهيبة(جنزبرج ، 2007م) وهذا النص فيه إيحاء واضح إلى أن هذا الألم ليس ألم ولادة طبيعية، بل هو ألم لحدث كبير سوف يقع على هذه الأرض بالإشارة إلى ولادة النمرود، وأن لا أحد قادر على تفسيره من أهل الأرض، وكان لابد من اللجوء إلى بيت الرب لفك أسراره، وعندما نقول أسراره فأننا نقتبس التعبير من الأسطورة اليهودية التي تقول: "فأجابها سام: سأفضي لك بسر يا بنيتي، فلا تخبري به أحداً، ففي رحمك أمتان، وكيف لجسدك أن تحتويهما، والعالم كله لن يسعهما ليعيشا معاً في سلام؟ وهما أمتان لكل عالمها، إحداهما عالمها التوراة، والأخرى عالمها الخطيئة، ومن إحداهما سيخرج سليمان باني الهيكل، ومن الأخرى فيسباسيان مدمره"(جنزبرج ، 2007م ، ج1، ص282) والجملة الأخيرة في الرواية يوافقها الدواداري، حين قال: "فولد العيص الروم" (الدواداري، 1414هـ، ج2، ص218) وبعدها تستمر الأسطورة في تشنيع عيسو وتمجيد يعقوب حين تقول: "فكان عيسو أول من يرى النور ومعه خرجت كل قذارات الرحم، أما يعقوب فقد ولد نظيفاً طاهر البدن" (جنزبرج ، 2007م ، ج1، ص 282)و كان يقف إلى صف عيسو إسماعيل الذي كان يريد قتل يعقوب وهو لا يزال بعد في رحم امه، ولكن الملاك الرئيس ميكائيل كان يسرع إلى نجدة يعقوب(جنزبرج ، 2007م).

من خلال هذه النصوص نرى محاولة الأسطورة اليهودية شيطنة عيسو وإسماعيل وامتداديهما، ومن الجلي أن الأحداث تخلو من المعقولية، فكيف لإسماعيل مثلاً محاولة قتل يعقوب، وهو لا يزال في رحم أمه! وكيف له أصلاً أن يميز بين الجنينين فضلاً عن الوقوف إلى جانب أحدهما! قصة إنجاب إسحاق لولديه وتبني الرواية اليهودية من قبل الدواداري يكشف عدم وعيه بآثار وتبعات هذه القصة في تأسيس العقيدة الإسرائيلية، على كل حال فإن تفاصيل قصة ولادة يعقوب ذكرها مؤرخون آخرون سبقوا الدواداري، إذ جاءت هذه القصة في كتاب مرآة الزمان بشيء من التفصيل، (سبط ابن الجوزي، 1434 هـ / 2013 م) وكذلك جاء في كتاب تاريخ الرسل والملوك(الطبري، 1387هـ) ، وقيل إن ولادته كانت "في سنة 1837 ق.م"(المغلوث،1426هـ / 2005م ، ص308) في حين نجد الدواداري قد ألتزم مسلك الاختصار فيها.

وبحسب الدواداري، فإن إسحاق مات وله مائة وثمانون سنة، في السنة التي ظهر فيها يوسف(عليه السلام) بمصر واستوزره العزيز، وقال: "دفن إسحاق عند قبر أبيه، والله أعلم"(الدواداري، 1414هـ، ج2، ص218) وتعبير (الله أعلم) يوحي للقارئ، بأن الدواداري لديه شكوك في هذا الخبر، مبدياً عدم اقتناعه ومحاولا النأي بنفسه من تبعات هذا القول، إلا أن نقله لوفاة إسحاق حين استيزار يوسف تبدو لي أشد غرابة، وكان الأحرى به إبداء نوع من التشكيك بها على الأقل، وإبعاد

المسؤولية عن قلمه في نقله الخبر، ورميها على من كتب هذه الرواية، خصوصاً أن لا شاهد لها قرآنياً على الإطلاق في سورة كاملة خصصت لقصة يوسف ولم يرد في أي من تفاصيلها وجود إسحاق على قيد الحياة، ومع انه يورد عباره التضعيف هذه، ولا ندري تحديداً، هل يضعف مبلغ عمره أم محل دفنه؟ إلا أن سياق العبارة يبدو في محل الدفن أكثر من العمر، مع ذلك نجد كثير من المؤرخين ومنهم الطبري وابن الجوزي يؤكد على أن محل دفنه كان إلى قبر والده إبراهيم، من غير أن نجد في ذلك اختلافاً ولا إشارة له بأي نحو من الأنحاء، إلا إن هذا الاتفاق يتلاشى في عمر إسحاق، ومع إن ابن حزم(ابن حزم، د.ت) يتفق مع الدواداري في روايته أعلاه، وكذلك القضاعي(القضاعي، 1995م)والمسعودي (المسعودي، اثبات الوصية، د.ت) إلا أننا نجد ما يتعارض وروايته عند مصنف مشهور مثل ابن الأثير في الكامل الذي يقول: "أن عمره مائة وستون سنة" (ابن الاثير ،1989م ،ج1 ، 114).

الذبيح من ولد ابراهيم:

عرض الدواداري خلافاً في مسألة تحديد هوية الذبيح، ولم يقدم رأياً صريحاً من يكون هذا الذبيح من ولد إبراهيم، فتارة يدفع بأتجاه إسماعيل، وأنّه فدي بكبش من الجنّة قد رعى فيها أربعين خريفا، وأنّ الإسلام جاء ورأس الكبش معلّق بقرونه في ميزاب الكعبة الحرام(الدواداري، 1414هـ) وفي موضع آخر، يدفع بأتجاه أنّ الذبيح هو إسحاق(الدواداري، 1414هـ) وهذا الخلاف ذاته في اسم الذبيح، نجده في عموم كتب المسلمين.

وعند تصفح الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، بل وعموم الكتب اليهودية، نجد نصوصاً تشير وبشكل واضح، إلى أن الذبيح هو إسحاق، ففي التوراة إن الله خاطب إبراهيم في حين أمره بذبح ابنه: "يا إبراهيم!... خذ ابنك وحيدك، الذي تحبه، إسحاق، وأذهب إلى أرض المريا، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك" (سفر التكوين 22 : 1_2) أما في الإنجيل:" بالإيمان قدم إبراهيم إسحاق، وهو مجرب، قدم الذي قبل المواعيد، وحيده، الذي قيل له إنه بإسحاق يدعى لك نسل"(رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين 11: 17_ 18).

فيما عرض القرآن ضمن الآيات(99_ 111) من سورة الصافات وقائع قصة الذبيح وقربان إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ۞ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ۞فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ۞وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ۞ قَدْ صَدَّقْتَ

الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِك نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ ۞ وَفَدَيناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيهِ فِي الآخِرِينَ ۞ سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۞ كَذَلِك نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾(سور الصافات: 99_ 111).

الآيات التي ذكرت القصة، لم يرد فيها بشكل صريح ذكر اسم الذبيح، ولا اسم المكان الذي كان محلاً لمحاولة إجراء الذبح، وتتعرض للحادثة بشكل مجمل، وهو ما دفع المفسرين إلى تتبع تفاصيل الواقعة في الكتب اليهودية التي تناولت القصة، ومن المؤكد أن النتيجة التي خلص لها جمع كبير منهم، أن الذبيح كان إسحاق، لكن وبحسب نظرنا، فإن القصص الدينية يعاد تشكيلها بحسب ثقافة ومعتقدات المجتمع الجديد الحاضن لها، ونرى إثر ذلك تنطلق تحقيقات وتحاول الاستناد إلى شواهد مختلفة من داخل النصوص التاريخية السابقة أو الحاضرة بين يديها، أو من خلال شواهد تاريخية، أو ما قد يحسب كذلك، فتتغير الأسماء واتجاهات القصة، وهنا تحديداً نرى تحولاً لمصداق الذبيح في بعض المدونات وفي الذهنية العامة للفكر الإسلامي، وأصبح إسماعيل هو الذبيح، بدلاً من إسحاق متخلياً عن الإرث التاريخي الصريح في المدونات اليهودية التي أخذ منه المدونون الإسلاميون ومنهم الدواداري الكثير من القصص كما هي بدون أي تغيير، لا لشيء سوى، أنها لم تكن تشكل محلاً للتنازع بين المسلمين واليهود في الاتجاهات العامة، لذلك لا غرابة عندما نرى الطبري يعلق على هذه المسألة بالقول: "وأختلف السلف من علماء أمة نبينا (ﷺ) في الذي أمر إبراهيم بذبحه من ابنيه، فقال بعضهم: هو إسحاق بن إبراهيم، وقال بعضهم: هو إسماعيل بن إبراهيم، وروي عن رسول الله ص كلا القولين، لو كان فيهما صحيح لم نعده إلى غيره، غير أن الدليل من القرآن على صحة الرواية التي رويت عنه(ﷺ) أنه قال: هو إسحاق أوضح وأبين منه على صحة الأخرى، والرواية التي رويت عنه أنه قال: هو إسحاق حدثنا بها أبو كريب... عن النبي(ﷺ) في حديث ذكر فيه: «وفديناه بذبح عظيم» قال: هو إسحاق""(الطبري، 1387 هـ ، ج1/ 263)وأضاف الطبري:"...المفدى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود"(الطبري، 1387 هـ ، ج1/ 268) لكنه يخلص أخيراً، إلى ما يدعيه بأن الدليل القرآني يرجح بشكل واضح صحة الروايات عن النبي محمد(ﷺ) والتي تثبت أن إسحاق هو الذبيح (الطبري، 1387 هـ) ولكن مراجعة الآيات لا تثبت شيئاً مما سماه دليلاً لما تقدم القول عن إجمالها.

سار سبط ابن الجوزي في الاتجاه عينه، قائلاً: "ذهب عامة الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى أنه (إسحاق)... وقالت طائفة هو إسماعيل"(سبط ابن الجوزي، 1434 هـ / 2013 م،ج1، ص411) وأضاف أيضاً إذا وقع التعارض وجب التوقف أو نطلب الترجيح، فنقول: "مذهب من قال بأنه إسحاق مذهب الجم الغفير من الصحابة وغيرهم ... لأن سارة لم تدخل الحجاز، وأن إسماعيل لم يدخل

الشام؛ والأصح أن الذبيح إسحاق، فبان بما ذكرنا من الترجيح أن الذبيح إسحاق"(سبط ابن الجوزي، 1434 هـ / 2013 م،ج1، ص416_ 417).

وَفي قبال الذين اختاروا بشكل صريح أن الذبيح هو إسحاق، نجد فئة أخرى تكتفي فقط بعرض الخلاف، ممتنعة عن التصريح بوجهة نظرها في الأمر، وكان من ضمن هذه الفئة الأخيرة الدواداري، الذي اكتفى بعرض القولين، إذ ذكر مرة، أن "إسماعيل بن إبراهيم هو الذبيح"(الدواداري، 1414هـ، ج2، ص217 _ 218) وفي موضع آخر، أنّ "الذبيح هو إسحاق"(الدواداري، 1414هـ، ج2، ص218) وهو عين ما فعله اليعقوبي المكتفي في عرض الخلاف من غير بيان صريح رأيه، فها هو قال: "فالرواية تختلف في إسماعيل وإسحاق، فيقول قوم: إنه إسماعيل لأنه الذي وضع داره وبيته وإسحاق بالشام، ويقول قوم: إنه إسحاق لأنه أخرجه وأخرج أمه معه، وكان يومئذ غلاماً، وإسماعيل رجل قد ولد له، وقد كثرت الروايات في هذا وهذا، وأختلف الناس فيهما... فأهل الكتاب يقولون: إنه كان إسحاق"(اليعقوبي، د.ت ،ص9) والأمر ينطبق على المسعودي القائل: "تنازع الناس في الذبيح فمنهم من ذهب إلى انه إسحاق، ومنهم من رأى أنه إسماعيل، فإن كان الأمر وقع بالذهاب بالحجاز، فالذبيح إسماعيل، لأن إسحاق لم يدخل الحجاز، وإن كان الأمر بالذبح وقع بالشام بالذبيح إسحاق، لأن إسماعيل لم يدخل الحجاز بعد أن حمل منه"(المسعودي، ، 1425هـ/2005 م، ج1، ص38) .

نجد جمعاً من المؤرخين والمفسرين، ذهب أن الذبيح إسماعيل، منهم ابن كثير، الذي ذكر:" عن ابن عباس أن رأس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة قد يبس، وهذا وحده دليل على أن الذبيح إسماعيل، لأنه كان هو المقيم بمكة، وإسحاق لا نعلم أنه قدمها في حال صغره والله أعلم، وهذا هو الظاهر من القرآن، بل كأنه نص على أن الذبيح، هو إسماعيل لأنه ذكر قصة الذبيح ثم قال بعده:{ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} (سورة الصافات: الآية 112) ومن جعله حالاً فقد تكلف، ومستنده أنه إسحاق إنما هو إسرائيليات، وكتابهم فيه تحريف ولا سيما هاهنا قطعاً لا محيد عنه، فإن عندهم أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده وفي نسخة من المعربة بكره إسحاق فلفظة إسحاق هاهنا مقحمة مكذوبة مفتراة لأنه ليس هو الوحيد ولا البكر، ذاك إسماعيل، وإنما حملهم على هذا حسد العرب فإن إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسحاق والد يعقوب وهو إسرائيل الذين ينتسبون إليه فأرادوا أن يجروا هذا الشرف إليهم فحرفوا كلام الله وزادوا فيه وهم قوم بهت ولم يقروا بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء"(ابن كثير، 1408هـ/1988م ،ج1، ص 158_159) عبارة ابن كثير مهمة جداً وأن تأخرت زمنياً على الدواداري، لأنه أشار بصراحة إلى أثر العداء بين العرب والإسرائيليين في تغيير شخصيات القصة، والأمر الآخر هو التعامل مع الدليل القرآني فما كان دليلا واضحاً عند الطبري أصبح أشد وضوحاً عند

ابن كثير، وهذا يؤكد ما ذكرناه من أثر الثقافة المجتمعية والانتماء الحضاري والقومي في تشكيل القصص والأساطير الدينية.

نجد آخرون يعتمدون أن الذبيح هو أسماعيل، مستندين على قولٍ ينسب للنبي محمد(ﷺ) :" أنا ابن الذبيحين"(المقدسي، 1983 م، ص23؛ الزرقاني، 1989 ، ص 11) ويضعونه إلى جانب القصة المشهورة في السيرة، إن عبد المطلب كان قد نذر إن سهل الله عليه حفر زمزم، بأن يذبح أحد أولاده، فخرج السهم على عبد الله والد النبي محمد (ﷺ) ففداه بمائة بعير في قصة معروفة، وبالتالي يكون حتماً الذبيح الثاني أحد أباء النبي وهو إسماعيل (ابن الأثير، 1989م؛ أبو الطيب المكي،1421هـ/2000م ؛ الالوسي ، 1415هـ ؛ البيضاوي، 1418هـ ؛ الحلبي، 1427هـ) .

أما الدكتور سعد عبود سمار، فينقلنا إلى أجواء أخرى في هذه القصة، ويخرج بنا من محدداتها الإسرائيلية إلى مقاربة جديدة تنتقل إلى عمق تاريخي في صناعة أسطورة التضحية وارتباطها بطلب الخصب في الشرق الأدنى القديم، قال الدكتور سعد سمار: "عندما يذهب الظن بنا إلى أنّ الكبش الذي ذبحه إبراهيم وفدى به ابنه إسماعيل(عليه السلام) هو ثوراً سماوياً، وذلك طلباً للخصب في منطقة جدبة، يشح فيها الماء، فهي طقوس استسقاء مُبكّر مُورِّست في جزيرة العرب، ونجد للقصة ما يُماثلها في أسطورة الإله ميثرا وذبحه للثور، طلباً للخصب" (سمار، 2019م، ص208) ويحلل ظاهرة تعليق رأس الكبش بطريقة تشير إلى الرمزية التي تكتنزها الأساطير، فقد ذكر وفي الشق الثاني من رواية (الافتداء بالكبش)هو ارتباط قُدسيّة ذبح الكبش السماوي (الذي افترضناه ثوراً) بقرني الكبش (الثَّوْر) اللذان عُلقا في جدار الكعبة وبقيا إلى أيام فتنة ابن الزبير، هذان القرنان اللذان عُلقا في الكعبة؛ تيمناً بهما لحمايتها، كما هو الحال في وضع قرون الثَّوْر على بوابات المعابد اليمنية القديمة (سمار، 2019م).

ونرى فكرة القربان متجذرة في المجتمعات البشرية وحضاراتها المتعددة ابتداءً من عصورها القديمة، في التضحية التي كانت تقدم على مذابح الآلهة أو عند دفن الملوك، ومعطيات حفريات أور السومرية واحدة من الشواهد الدالة على عراقة التقليد وقدمه في آن واحد، إذ كان الملوك يدفنون ومعهم حاشيتهم ووزرائهم، إيمانا منهم بالانتقال مع الملوك الأرباب إلى حالة في العالم الآخر، تناظر حالتهم في الحياة الأرضية، وقد وجدت على بعض أختام الطين صور آدميين يلبسون قناعاً يشبه رأس الحيوان، ويظن الآثاريون أن هذا كان مقدمة للذبح الرمزي وإجراء الشعائر(مهران،1988 م ؛ عباس العقاد، د.ت)ولعل الفكرة أعمق من التضحية بالبشر في العراق القديم، فحينما بدا للإله أنكي فكرة خلق البشر، كان الإله (وي) هو الإله المضحى به:

"في مطلع الشهر،

في السابع منه أو الخامس عشر

قرر أنكي أذن، تطهيراً بالاغتسال

والإله(وي) الذي كان يمتلك روحا

تمت تضحيته خلال(هذا)الاجتماع" (أدونيس، 1997م ، ج ٢،ص ٢٤٣ _ ٢٤٤).

عندما تنتقل الأسطورة الى النصوص البابلية نجد الأمر نفسه، بعد أن نظم مردوخ الكون، وأراد خلق البشر، رأى أنه من الضروري التضحية بأحد الآلهة حتى يتمكن من ذلك (ساكز، 1879 ؛ فيروللو، 1990 م).

ولا يختلف الأمر عند الكنعانيين والفينيقيين، ولكن من جهة التضحية بالقربان البشري، فقد كانت التضحية بالطفل البكر عرفاً جارياً لدى الكنعانيين، وفي حفريات جازر دليل، وجدت بها عظام أطفال في حالة بلاء بين بين، مودعة في أسس المنازل، ويبدو أن الفينيقيين قد احتفظوا بهذه العادة إلى عصور قريبة، وقيل أن من عادات القوم في حالات الأخطار العامة، أن يضحوا بأعز أبنائهم لإبعاد الكوارث عن أنفسهم (مهران،1988م ؛ كونتنو ، الحضارة الفينيقية، 1979م).

خاتمة

تأسيساً على ما سبق تم استخلاص النتائج التالية:

- استعرضنا من خلال هذا البحث ذكر النبيين إسماعيل واسحاق من خلال ما أورده أبو بكر بن عبدالله بن ايبك الدواداري (737هـ/ 1336م) في كتابه (كنز الدرر وجامع الغرر) وتناولنا الخلاف في مسألة الذبيح من ولد إبراهيم.
- عرضنا قول الدواداري في السؤال الذي طرحناه، من هو الذبيح من ولد إبراهيم؟ وبعد عرض قول الدواداري، أجرينا مقارنة مع ما جاء في هذا الموضوع في كتب المفسرين والمؤرخين والكتاب المقدس بعهديه (القديم والجديد) فقد تحدثت التوراة عن قصة النبي إبراهيم(عليه السلام) وعندما امره الله تعالى بذبح ابنه الوحيد إسماعيل (عليه السلام) إلا أن كُتاب العهد

القديم نسبوا هذه الحادثة إلى إسحاق وليس إسماعيل(عليه السلام) رغبةٍ في تفضيلِ إسحاق على إسماعيل، وما جرى من تغير الزمان والمكان الذي جرت به القصة ، وقد عرضناها في متن البحث.

- ❖ لم تتطرق آيات القرآن الكريم إلى التعيين بالاسم الصريح إلى الذبيح، ولا ذكر مكان وقوع القصة، فقد كان ذلك محل نزاع وإختلاف بين المفسرين والمؤرخين المسلمين، منهم من ذهب إلى ان الذبيح إسحاق، ومنهم من قال الذبيح إسماعيل، وهناك من اكتفى في عرض الاسمين دون ترجيح، ومنهم مؤرخنا موضع الدراسة (الدواداري) .
- ❖ من الاستنتاجات المهمة التي توصلنا إليها: حاول بنو إسرائيل ادعاء الفضل في هذه القصة لنبيهم إسحاق(عليه السلام) وقالوا: إن الذبيح هو إسحاق.
- ❖ عندما امر الله تعالى النبي إبراهيم(عليه السلام) في ذبح ولده، كان سلسلة من الامتحانات الإلهيّة للنبي إبراهيم(عليه السلام) و كان تسليم وقبول النبي إبراهيم(عليه السلام) للمشيئة الإلهية.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- العهد القديم
- العهد الجديد

1. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد(1989م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: علي شيري، دار أحياء بيروت، التراث العربي.
2. الالوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني(1415هـ)، تفسير الالوسي= روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
3. البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله(1418 هـ)، تفسير البيضاوي =أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، بيروت، دار احياء التراث العربي.
4. جنزبرج ، لويس(2007م) ، اساطير اليهود، ترجمة: حسن حمدي، ط1، دمشق ،دار الكتاب العربي.

5. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد(د.ت)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة ،مكتبة الخانجي.

6. الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد(1427هـ)، السيرة الحلبية =إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ط2، بيروت ،دار الكتب العلمية .

7. الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن ايبك(1414 هـ / 1994 م) ، كنز الدرر وجامع الغرر، دون، القاهرة.

8. الزرقاني، محمد بن عبد الباقي،(1989م)، مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ط4، بيروت، مطبعة المكتب الإسلامي.

9. ساكز، هاري(١٩٧٩م)، عظمة بابل، ترجمة :عامر سليمان، الموصل، دار الكتب .

10. سبط ابن الجوزي،شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي (581 - 654 هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق ، 1434 هـ / 2013 م.

11. سمار، سعد عبود، "تقديّس الحيوان وعبادته عنْد العرب قبْل الإسلام"، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة واسط ، العدد 36، 2019م .

12. الشواف ، قاسم، ديوان الأساطير، ط1، دار الساقي، بيروت، 1997م .

13. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن غالب ، (1387 هـ)، تاريخ الرسل والملوك= تاريخ الطبري، ط2 ،بيروت ، دار التراث .

14. ابو الطيب المكي، محمد بن أحمد بن علي(1421هـ/2000م)،شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط1 ، بيروت، دار الكتب العلمية.

15. العقاد، عباس، إبراهيم أبو الأنبياء(د.ت) ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

16. فيروللو، شارل، (1990 م) أساطير بابل وكنعان، ، د.ط ،دمشق،.

17. القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر(1995م)، عيون المعارف وفنون اخبار الخلائف= تاريخ القضاعي، تحقيق: جميل المصري، دون.

18. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي (1408هـ/1988م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري ، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

19. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(د.ت) ، كتاب اثبات الوصية، قم، مطبعة انصاريان .

20. المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على (1425هـ/2005 م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: كمال حسن مرعي، ط1، بيروت ،المكتبة العصرية.

21. المغلوث، سامي بن عبدالله(1434هـ) ،أطلس تاريخ العصر المملوكي ،ط1، الرياض ،مطبعة العبيكان.

22. المقدسي ، محمد بن أحمد بن عبد الهادي (1404هـ/1983 م)، رسالة لطيفة، دون، دار الهدى للنشر والتوزيع،.

23. مهران، محمد بيومي(1408هـ)،دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ط2، بيروت، دار النهضة العربية.

24. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: بعد 292هـ/ 905م)، تاريخ اليعقوبي، المكتبة الشاملة الذهبية.